المبحث الثاني: حكمة القول مع النصارى

من حكمة القول مع النصارى في دعوتهم إلى اللَّه – تعالى – أن يسلك معهم الداعية المسلم المسالك الحكيمة الآتية:

المسلك الأول: إبطال عقيدة التثليث وإثبات الوحدانية للَّه تعالى.

المسلك الثاني: البراهين على إثبات بشرية عيسى وعبوديته للَّه تعالى.

المسلك الثالث: البراهين على إبطال قضية الصلب والقتل.

المسلك الرابع: البينات على إثبات وقوع النسخ والتحريف.

المسلك الخامس: إثبات اعتراف المنصفين من علماء النصارى.

المسلك الأول: إبطال عقيدة التثليث وإثبات الوحدانية للَّه تعالى:

المقصود بالتثليث عند النصارى ثلاثة أشياء: الأب، والابن، ورُوحُ القدس.

وقالوا: الأب هو الذات، والابن هو الكلمة، وروح القدس هو الحياة[1]، ويعبرون عن ذلك بأن اللَّه – تعالى عن كفرهم – ثلاثة

---

(١) اختلف النصارى في تفسير هذا الكلام على أقوال:

١ – فكثير منهم يقول: الأب هو الوجود، والابن هو الكلمة، وروح القدس هو الحياة.

٢ – ومنهم من يقول: الأب هو الوجود، والابن هو الكلمة، وروح القدس هو القدرة.

٣ – وقيل: الأقانيم ثلاثة: جواد، حكيم، قادر، فقالوا: الجواد الأب، والحكيم الابن، والقادر: روح القدس.

٤ – وقيل: الذات الأب، والنطق الابن، والحياة روح القدس.

=

أقانيم، والأقنوم في لغتهم هو الأصل[1]، والثلاثة أسماء إله واحد[2] في زعمهم الباطل عقلاً وشرعاً.

والرّدُّ على عقيدة التثليث وإبطالها[3]، ودعوة أصحابها إلى اللَّه بالقول الحكيم يتلخص في الأمور الآتية:

١ - التوحيد دين الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وأتباعهم:

إن عقيدة التثليث لم تكن في أمةٍ من الأمم السابقة من عهد آدم

=

٥ - ومنهم من يعبر عن الكلمة بالعلم فيقول: موجود، حي، عالم، أو موجد، عالم، قادر.

٦ - ومنهم من يقول: موجود، حي، حكيم.

٧ - ومنهم من يقول: قائم بنفسه، حي، حكيم.

كلهم متفقون على أن المتجسد في المسيح - على زعمهم - والحال فيه هو أقنوم الكلمة، وهو الذي يسمونه الابن دون الأب، - تعالى الله عن قولهم - انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٩٠، ٩٤، والملل والنحل للشهرستاني، ١/٢٢٢-٢٢٨.

وفرق النصارى الثلاث: الملكانية، والنسطورية، واليعقوبية متفقون على أن معبودهم ثلاثة، ولكنهم اختلفوا في فتسير الأقانيم الثلاثة، وفي الحلول والاتحاد. انظر: الجواب الصحيح، ٢/٩٥، والفصل لابن حزم، ١/١١٠-١١٢، وإظهار الحق، ١/٥٧٦، والملل والنحل للشهرستاني، ١/٢٢١-٢٢٨، والبداية والنهاية، ٢/١٥٠، ودقائق التفسير، ٣/٣٠، وإغاثة اللهفان، ٢/٢٧٣.

قال ابن حزم في الفصل، ١/١١٢: ولولا أن الله وصف قولهم في كتابه... لما انطلق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع السمج السخيف، وتالله لولا أنا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن في العالم عقلاً يسع هذا الجنون، ونعوذ بالله من الخذلان.

(١) انظر: الجواب الصحيح، ٢/١٠٠، ١١٢، والداعي إلى الإسلام للأنباري، ص٣٥٩، والفصل لابن حزم، ١/١١٩ .

(٢) انظر: الداعي إلى الإسلام، ص٣٦٣، ٣٦٤، والجواب الصحيح، ٢/١١٢ .

(٣) انظر: اليهودية والمسيحية، للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص٤١١-٤٣٩.

obeikandi.com

عليه الصلاة والسلام، إلى رفع عيسى ﷺ.

وعقيدة التوحيد هي دين الأنبياء وأتباعهم، كما أن كتب العهد القديم عند أهل الكتاب ناطقة بأن اللَّه واحد، أزليٌّ، أبديٌّ، حيٌّ لا يموت، قادر يفعل ما يشاء، ليس كمثله شيء، لا في الذات ولا في الصفات، وعبادة غير اللَّه حرام، وحرمتها مصرحة في مواضع شتى، وهذا الأمر لشهرته وكثرته في تلك الكتب غير محتاج إلى نقل الشواهد[1].

٢ - النصارى تلقوا عقيدة التثليث عن أصحاب المجامع:

إن المصادر النصرانية الموثوق فيها لا تملك سوى الإقرار بأن دعوة عيسى ﷺ كانت توحيد اللَّه الخالص من الشرك، إلى بداية القرن الرابع الميلادي[2]، وذلك أن اللَّه ﷻ بعث عبده ورسوله عيسى ابن مريم إلى بني إسرائيل، فجدد لهم الدين، وصدق لما بين يديه من التوراة، وأحل لهم بعض الذي حُرّم عليهم، ودعاهم إلى عبادة اللَّه وحده، فعادوه وكذبوه، ورموه وأمه بالعظائم، وأرادوا قتله، فطهره اللَّه – تعالى – منهم، ورفعه إليه، ولم يصلوا إليه بسوء، وأقام اللَّه – تعالى – للمسيح أنصاراً دعوا إلى دينه وشريعته حتى ظهر دينه على من خالفه، ودخل فيه الملوك، واستقام الأمر على السداد

---

(١) انظر: إظهار الحق، لرحمة الله الهندي، ١/٥٤٣، ٥٧٧ .

(٢) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم، ٢/٢٧٠، وهداية الحيارى، ص٦٢٢، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص١٦٤.

بعده نحو ثلاثمائة سنة، ثم أخذ دين المسيح في التبديل والتغيير، ولم يبق بأيدي النصارى منه إلا بقايا: كالختان، والاغتسال من الجنابة، وتعظيم السبت، وتحريم الخنزير، وتحريم ما حرمته التوراة إلا ما أحلت لهم بنصها، ثم استحلوا الخنزير، وأحلوا السبت، وعوضوا منه يوم الأحد، وتركوا الختان، والاغتسال من الجنابة، وكان المسيح يصلي إلى بيت المقدس فصلوا إلى المشرق، وعظموا الصليب وعبدوه، وعندما أخذ دين المسيح ﷺ في التغير والفساد اجتمعت النصارى عدة مجامع، ثم يفترقون على الاختلاف والتلاعن، ومن أهم هذه المجامع: مجمع نيقية عام ٣٢٥م، فقد جمع الملك قسطنطين – باني القسطنطينية – ألفين وثمانية وأربعين أسقفاً (٢٠٤٨) من جميع بلدان العالم، وكانوا مختلفي الآراء والأديان، واتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً (٣١٨) على أن المسيح ابن الله – تعالى عن كفرهم – وأنه مساوٍ له في الجوهر، وأنه نزل من السماء وتجسد من روح القدس، وصار إنساناً، وحمل به، ثم ولد من مرين، وقُتِلَ وصُلِبَ، ودُفِنَ، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء مرة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، وقالوا: نؤمن بروح القدس، وأجبر الملك الناس على هذه العقيدة التي أسسها هؤلاء الأساقفة.

ثم عُقِدَ مجمع آخر عام ٣٨١م، وحضره مائة وخمسون أسقفاً (١٥٠)، وأجمعوا على أن روح القدس خالق غير مخلوق، وبهذا

المجمع تم لهم التثليث، وقالوا: بأن الأب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم، وفرض ملوك النصارى هذه العقيدة على الناس.

ثم عُقِدَ مجمع سنة ٤٣١م، وحضره نحو مائتي أسقف (٢٠٠) وقرروا أن مريم ولدت إلهاً..!

واستمرت المجامع تُعقد بعد ذلك، وأشهرها المجامع العشرة التي عُقِدَت على مر العصور، وكلهم يُكفِّر بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً، فدينهم الذي ابتدعوا قائم على اللعنة[١].

فثبت بهذا الاستعراض أن دين المسيح ﷺ هو التوحيد إلى نهاية القرن الثالث الميلادي، وأن المجامع النصرانية هي التي فرضت عقيدة التثليث، وألزم الملوك الناس بذلك بالسيف والعطاء[٢].

فعُلِمَ قطعاً بأن عقيدة التثليث عقيدة وثنية مصدرها المجامع النصرانية، بدءاً بمجمع نقية سنة ٣٢٥م، وهذا من أعظم ما يُردُّ به على النصارى، ولكن بالقول الحكيم، وبالرفق واللين، والجدال بالتي هي أحسن.

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١/١١٥، ٢/٩٠-١٣٥، ٣/٢٢-٤٥، وإغاثة اللهفان، ٢/٢٧٠-٢٨١، وهداية الحيارى، ص٦٤٦-٦٥٨، والبداية والنهاية لابن كثير، ٢/١٥٠، ١٥١، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص٢٠٢-٢١٦.

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ٢/٢٢٨.

٣ - بطلان كون الثلاثة إله واحد:

قال المثلثة: الأب، والابن، وروح القدس: الثلاثة أسماء إله واحد، ورب واحد، وخالق واحد، ومسمى واحد، لم يزل ولا يزال شيئاً حيّاً ناطقاً: أي الذات والنطق والحياة[١]، ويعبرون عن ذلك بأن الله – تعالى عن كفرهم – ثلاثة أقانيم، وحينئذ يرد عليهم بالقول الحكيم بالآتي:

أولاً: لم خصصتم الأقانيم الثلاثة؟ فإنه قد ثبت أنه: موجود، حي عليم، قادر، سميع، بصير، كريم، خالق، رازق...، فيلزمكم على قولكم هذا أن تُثبتوا أقنوماً رابعاً وهو القدرة، وخامساً وهو: السمع، وسادساً وهو: البصر، وسابعاً وهو: الكرم، وثامناً وهو: الخلق، وتاسعاً وهو: الكلام... وسائر الصفات الثابتة، فإن أسماء الله – تعالى – وصفاته متعددة كثيرة، ومنها تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة[٢].

فإذا كانت أسماء الله كثيرة فالاقتصار على ثلاثة أسماء أو ثلاث

---

(١) فالذات عندهم: الأب الذي هو ابتداء الاثنين، والنطق: الابن الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل، والحياة: هي روح القدس، ثم يعبرون عن ذلك بأن الله – تعالى – ثلاثة أقانيم – تعالى الله عن ذلك – والأقنوم في لغتهم: هو الأصل. انظر: الجواب الصحيح ١٠٠/٢، ١١٢، والداعي إلى الإسلام ص٣٥٩، والفصل لابن حزم، ١١٩/١.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار ٣٥٤/٥، (رقم ٢٧٣٦)، ٢١٤/١١، ومسلم، كتاب الذكر، باب أسماء الله – تعالى -... ٢٠٦٣/٤، (رقم ٢٦٧٧).

صفات باطل مردود[1].

ثانياً: قولكم: الأبُ الذي هو ابتداء الاثنين، والابن النطق الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل: كلام باطل؛ لأن صفات الكمال لازمة لذات الله – تعالى – أولاً وآخراً، فهو لم يزل ولا يزال حيّاً، عالماً، قادراً، فلم يَصِرْ حيّاً بعد أن لم يكن حيّاً، ولا عالماً بعد أن لم يكن عالماً!!

ثالثاً: قولكم في النطق: إنه الابن، وإنه مولود من الله – تعالى –: إن أردتم به أنه صفة لازمة له، فكذلك الحياة صفة لازمة له، فيكون روح القدس أيضاً ابناً ثانياً، وإن أردتم أنه حصل منه بعد أن لم يكن لزم أن يكون عالماً بعد أن لم يكن، وهذا مع كونه باطلاً وكفراً فيلزم مثله في الحياة، وأنه صار حيّاً بعد أن لم يكن حيّاً، تعالى الله وتقدس عن ذلك!!

رابعاً: إن تسمية حياة الله: روح القدس، لم ينطق به شيء من كتب الله المنزلة، فإطلاق روح القدس على حياة الله من التبديل والتحريف للكلم عن مواضعه.

خامساً: إنكم تدعون أن المتجسد بالمسيح هو الكلمة، الذي هو العلم، وهذا إن أردتم به نفس الذات العالمة الناطقة كان المسيح هو الأب، وهو الابن، وهو روح القدس، وهذا عندكم وعند جميع

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١١٣/٢ .

الناس باطل.

سادساً: العلم صفة، والصفة لا تَخلُق ولا تَرزُقُ، والمسيح نفسه ليس هو صفة قائمة بغيرها باتفاق العقلاء، وأيضاً هو عند المثلثة خالق للسماوات والأرض، فامتنع أن يكون المتحد به صفة، فإن الإله المعبود هو الإله الحي العليم القدير، وليس هو نفس الحياة ولا نفس العلم والكلام، فلو قال قائل: يا حياة الله، أو يا علم الله، أو يا كلام الله اغفر لي وارحمني... كان هذا باطلاً في صريح العقل، ولهذا لم يُجَوِّزْ أحد من أهل الأديان السماوية أن يقال للتوراة أو الإنجيل وغير ذلك من كلام الله: اغفر لي وارحمني، وإنما يقال للإله المتكلم بهذا الكلام – وهو الله وحده -: اغفر لي وارحمني.

والمسيح عند المثلِّثة هو الإله الخالق الذي يقال له: اغفر لنا وارحمنا، فلو كان هو نفس علم الله وكلامه لم يجز أن يكون إلهاً معبوداً، فكيف إذا لم يكن هو نفس علم الله وكلامه، بل هو مخلوق بكلامه حيث قال: (كن)، فكان، فتبين بذلك أن كلمات الله كثيرة لا نهاية لها، ومعلوم أن المسيح ليس هو كلمات كثيرة، بل غايته أن يكون كلمة واحدة، إذ هو المخلوق بكلمة من كلمات الله ﷻ[1].

سابعاً: مما لا يَشكُّ في صحته عاقل: أن عقيدة التثليث باطلة مردودة بصريح النقل وصحيح العقل، ومن المعلوم عند سائر أهل

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/١١٢-١١٦، بتصرف.

الملل: أن اللَّه موجود، حي، عليم، متكلم، قدير لا تختص صفاته بثلاثة، ولا يعبر عن ثلاثة منها بعبارة لا تدل على ذلك، وهو: لفظ الأب، والابن، وروح القدس، فإن هذه الألفاظ لا تدل على ما فسروها به في لغة أحد من الأمم، ولا يوجد في كلام أحد من الأنبياء أنه عبر بهذه الألفاظ عما ذكروه من المعاني، بل ذلك مما ابتدعه النصارى، ولم يدل عليه شرع ولا عقل[1].

فتبين أن جميع كتب الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – تُبْطِل مذهب النصارى، فهم بين أمرين:

١ – الإيمان بكلام الأنبياء وبطلان دينهم (عقيدة التثليث).

٢ – تصحيح دينهم وتكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[2].

٤ – إبطال عقيدة التثليث بما في كتب النصارى:

من الأدلة التي تُلزم أصحاب التثليث أن يبين لهم بالقول الحكيم ما في كتبهم التي يعترفون بها، فإن فيها ما يبطل قولهم وعقيدتهم في التثليث، ومن ذلك على سبيل المثال ما يلي:

(أ) جاء في إنجيل يُوحنَّا: إن المسيح ﷺ قال في دعائه: «إن الحياة الدائمة إنما تجبُ للناس بأن يشهدوا أنك أنت اللَّه الواحد

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٩١/٢ .

(٢) انظر: المرجع السابق، ٢١٣/٢ .

الحق، وأنك أرسلت اليسوع المسيح»[١].

وهذه حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، ولا معبود بحقٍّ سواه.

(ب) وقال: «إن الله ﷻ ما أكل ولا يأكل، وما شرب ولا يشرب، ولم ينم ولا ينام، ولا ولد له ولا يلد ولا يولد، ولا رآه أحد ولا يراه أحد[٢] إلا مات»[٣].

وبهذا يظهر سر قوله تعالى: ﴿**مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ**﴾[٤].

وغير ذلك من الأمثلة كثير لا يتسع المقام لذكرها[٥].

٥ - إبطال القرآن الكريم لعقيدة التثليث:

القرآن الكريم هو الأصل في تصحيح العقائد، وما سبق من القول الحكيم مع النصارى إنما هو مخاطبتهم على قدر عقولهم بالأدلة العقلية، وبالواقع من تاريخهم، وما جاء في كتبهم، مما يبطل عقيدة التثليث، ويُثبتُ أن عقيدة التوحيد هي دين الأنبياء جميعاً

---

(١) هداية الحيارى لابن القيم، ص٦٢٠ .

(٢) المقصود بنفي الرؤية هنا في الدنيا، أما في الآخرة فإن المؤمنين يرون ربهم في الجنة، وهو أعظم نعيم أهل الجنة – جعلنا الله منهم -.

(٣) انظر: هداية الحيارى، ص٦٢١ .

(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٥ .

(٥) انظر كثيراً من الأمثلة على ذلك في: هداية الحيارى، ص٦٢٠-٦٢٢، وإظهار الحق، ٢/٢٥-٣٩.

عليهم الصلاة والسلام.

والقرآن الكريم – المحفوظ من الله عن التبديل والتحريف – يتولى الرد على هذه القضية بأوجز عبارة وأوضحها، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ (١)، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَللّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢).

وقال ﷻ مبيناً حقيقة عيسى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ، لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٧١ .

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٧ .

انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [1].

وأخبر اللَّه عن المسيح أنه لم يأمر الناس إلا بما أمره اللَّه به، فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ* مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [2]، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا* تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا* أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا* وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا* إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [3]، ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [4]، فهل بعد هذا القول بيان؟ وهل بعد هذه الحجج من حجج؟[5].

---

(١) سورة المائدة، الآيات: ٧٢ – ٧٥ .

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ١١٦- ١١٧ .

(٣) سورة مريم، الآيات: ٨٨ – ٩٣ .

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٠ .

(٥) انظر: الجواب الصحيح، ٢/٢٧٩-٢٨١، ودقائق التفسير، ٣/٢٨، ٢٩ .

وأما قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ (١)، فقد بينها اللَّه تعالى أعظم بيان وأكمله وأبلغه.

(أ) فالكلمة التي ألقاها اللَّه إلى مريم هي: (كن)، فكان عيسى بـ«كن»، وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان عيسى، فالكن من اللَّه قوله: (كن)، وليس الكن مخلوقاً (٢)، قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ* وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ* قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ (٣).

ففي هذا الكلام وجوه تبين أنه مخلوق، وليس كما يقول النصارى، وذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾، وهي نكرة في سياق الإثبات يقتضي أنه كلمة من كلمات اللَّه، وليس هو كلامه كله، كما يقول النصارى.

٢ - ومنها أنه بيّن مراده بقوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾، وأنه مخلوق،

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٧١ .

(٢) فتاوى ابن تيمية، ٤٩٣/٢٠، ودقائق التفسير، ٣١/٣، وتفسير ابن كثير، ٥٩١/١ .

(٣) سورة آل عمران، الآيات: ٤٥ – ٤٧ .

حيث قال: ﴿كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ، مَا كَانَ للَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (٢).

فهذه ثلاثة آيات في القرآن تبيّن أن الله قال له: ﴿كن﴾، وهذا تفسير كونه كلمة منه.

٣ - وقال: اسمه المسيح عيسى ابن مريم.

٤ - وأخبر أنه وجيه في الدنيا والآخرة.

٥ - وأنه من المقربين.

وهذه كلها صفة مخلوق، والله – تعالى – وكلامه الذي هو صفته لا يقال فيه شيءٌ من ذلك.

٦ - وقالت مريم: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾، فبيّن أن المسيح الذي هو الكلمة ولد مريم لا ولد الله سبحانه وتعالى (٣).

(ب) أما الروح التي قال تعالى فيها: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾، فلا يجب

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٩ .

(٢) سورة مريم، الآيتان: ٣٤- ٣٥ .

(٣) انظر: الجواب الصحيح، ٢/٩٩-٣٠٠، ٢/١٤٠، ٢٢٧ .

أن يكون منفصلاً من ذات اللَّه، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (١)، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (٢)، ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (٣).

فهذه الأشياء كلها من اللَّه وهي مخلوقة.

وأبلغ من ذلك روح اللَّه التي أرسلها إلى مريم، وهي مخلوقة ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا﴾ (٤)، ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ (٦).

فعُلِمَ بذلك أن الروح الذي أرسله اللَّه إلى مريم هو روح القدس، وهو الملك جبريل، عليه السلام، وهو مخلوق، وهو الذي خُلِقَ المسيح من نفخه ومن مريم، فإذا كان الأصل مخلوقاً فكيف الفرع الذي حصل به؟

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ١٣ .

(٢) سورة النحل، الآية: ٥٣ .

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٩ .

(٤) سورة مريم، الآيات: ١٧ – ١٩ .

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٩١ .

(٦) سورة التحريم، الآية: ١٢ .

أما قوله عن المسيح: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ فخص بذلك لأنه نفخ في أمه من الروح، فحملت به من ذلك النفخ، وذلك غير روحه التي يشاركه فيها سائر البشر، فامتاز بأن حملت به من نفخ الروح، فلهذا سمي روحاً منه[1].

أما إضافة الروح إلى اللَّه في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ فهي إضافة مخلوق إلى خالقه، كقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾[2]، ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾[3]، والمضاف إلى اللَّه – تعالى – نوعان:

(أ) إن كان صفة مضافة إلى اللَّه لم تقم بمخلوق: كعلم اللَّه، وقدرة اللَّه، والقرآن كلام اللَّه، وحياة اللَّه، كان صفة للَّه تعالى.

(ب) وإن كان المضاف عيناً قائمة بنفسها أو صفة فيها، أو صفة لغير اللَّه: كالبيت، والناقة، والعبد، والروح كان مخلوقاً مضافاً إلى خالقه ومالكه.

لكن هذه الإضافة (ناقة اللَّه)، (بيت اللَّه)، (عباد اللَّه)، (روح اللَّه)، إضافة مخلوق إلى خالقه تقتضي التشريف، وبهذا يتبين أنه لا يوجد

---

(١) انظر: الجواب الصحيح، ١٢٧/٢، ١٢٨، ١٣٣، ٣٠٢، ٣٠٣، ودقائق التفسير، ٣٤١/٢، ٣٢/٣، والبغوي، ٥٠١/١، وابن كثير، ٥٩١/١، ٣٩٥/٤، وفتح القدير، ٥٤٠/١ .

(٢) سورة الشمس، الآية: ١٣ .

(٣) سورة الإنسان، الآية: ٦ .

للنصارى حجة إطلاقاً، فسقط قولهم بحمد اللَّه تعالى[1].

المسلك الثاني: الأدلة والبراهين القاطعة على بشرية عيسى وعبوديته للَّه:

ومن حكمة القول مع النصارى في دعوتهم إلى اللَّه أن يُبين لهم أن عيسى ﷺ عبد اللَّه ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، خلقه ﷻ، وبيّن لعباده أنه مخلوق، وأن ذلك لا يُعجزه قال تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ، الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾[2].

فقد خلق اللَّه – تعالى – هذا النوع على الأقسام الممكنة، ليبين عموم قدرته، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى، كما قال تعالى: ﴿**وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾[3]، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وكان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح؛ لأن حواء خلقت من ضلع آدم، وهذا أعجب من خلق المسيح في بطن مريم، وخلق آدم أعجب من هذا وهذا، وهو أصل خلق حواء، فلهذا شبهه اللَّه بخلق آدم الذي هو أعجب من خلق المسيح، فإذا كان سبحانه قادراً أن يخلقه من تراب، والتراب ليس

---

(١) انظر: الجواب الصحيح، ٢/١١٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٨-١٤٠، ١٤٢، ودقائق التفسير، ٢/٣٤٣ .

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٥٩- ٦٠ .

(٣) سورة النساء، الآية: ١ .

من جنس بدن الإنسان، أفلا يقدر أن يخلقه من امرأة هي من جنس بدن الإنسان؟ وهو ﷻ خلق آدم من تراب، ثم قال له: كن، فكان لما نفخ فيه من روحه، فكذلك المسيح نفخ فيه من روحه، وقال له: كن، فكان، ولم يكن آدم بما نفخ فيه من روحه لاهوتاً وناسوتاً، بل كله ناسوت، فكذلك المسيح كله ناسوت[1].

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يُباهل النصارى على حقيقة عيسى ﷺ، وأنه عبد الله ورسوله، فقال تعالى: ﴿**فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[2].

وقد امتثل النبي ﷺ قول الله فدعاهم إلى المباهلة، فعرفوا أنهم إن باهلوه أنزل الله عليهم لعنته، فأقروا بالجزية وهم صاغرون.

وهذا كله يُبيّن أن عيسى عبد الله ورسوله، وأنه مخلوق، ويُبيّن أنّ النصارى بامتناعهم عن المباهلة وعن الدخول في الإسلام كانوا ظالمين[3].

وقد بيّن ﷻ حقيقة عيسى، ووصفه وأمه وصفاً كاملاً لا يدع

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٢٩٤، ودقائق التفسير لابن تيمية، ٢/٣٣٤، وتفسير ابن كثير، ١/٣٦٨ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦١ .

(٣) انظر: الجواب الصحيح، ٢/٢٩٥، ودقائق التفسير، ٢/٣٣٤، ودرء تعارض العقل والنقل، ١/١٩٨، وتفسير ابن كثير، ١/٣٦٨.

مجالاً للشك، ويقطع كل شبهة ترد على بشرية عيسى وأمه، فقال ﷻ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا... ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا* قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا* وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ* مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ... ﴾ الآيات[1].

وقال سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلاّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [2].

وهو ﷺ عبد الله ورسوله، وأحد أنبيائه ورسله الكرام، ويتصف بصفات البشر، ويأكل الطعام كما يأكله البشر[3]:﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ﴾ [4].

---

(١) سورة مريم، الآيات: ١٦ – ٣٥ .

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٥٩ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير، ٨٢/٢ .

(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٥ .

وقد شهد رسول الله ﷺ بالجنة لمن شهد أن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، فقال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم روح منه، وأن الجنة حقٌّ، والنار حقٌّ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[(١)].

وحذر ﷺ عن الغلو، وبيّن أنه من أسباب تأليه النصارى لعيسى ابن مريم[(٢)].

وبهذه البراهين القطعية من الأدلة العقلية والنقلية يتضح لكل ذي لُبٍّ أن عيسى عبد الله ورسوله، وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، ومَنْ وصفه بغير ذلك من الصفات التي لم يصفه بها ربه وخالقه فقد خرج عن مقتضى العقل والنقل إلى الجنون أو الجحود والظلم: ﴿**لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلَّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا**﴾[(٣)]، ﴿**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ**

---

(١) البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾، ٤٧٤/٦، (رقم ٣٤٣٥)، ومسلم، في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، ٥٧/١، (رقم ٢٨)، وانظر زيادة للحديث في البخاري مع الفتح، ٤٧٤/٦، ومسلم، ٥٧/١ .

(٢) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا... ﴾، ٤٧٨/٦ (رقم ٣٤٤٥)، وكتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، ١٤٤/١٢، (رقم ٦٨٣٠).

(٣) سورة النساء، الآية: ١٧٢ .

﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ* وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (١).

المسلك الثالث: البراهين الدالة دلالة قطعية على إبطال قضية الصلب والقتل:

زعم النصارى أن اليهود قتلوا عيسى ﷺ وصلبوه وقُبِرَ، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء(٢)، وقد كذبهم اللَّه فيما زعموا، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (٣).

ومن الحكمة القولية في دعوتهم إلى اللَّه وإبطال مذهبهم أن يُردّ عليهم بالآتي:

١ - الأدلة العقلية:

(أ) بما أنكم أجمعتم أيها النصارى على القول بالاتحاد والصلب والقتل(٤)، فهل كان الاتحاد موجوداً في حالة الصلب والقتل أم لا؟

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٧٩- ٨٠ .

(٢) انظر: الجواب الصحيح، ١١٦/٢، والداعي إلى الإسلام للأنباري، ص٣٧٧، وإغاثة اللهفان، ٢٧٣/٢، وهداية الحيارى، ص٦١٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٧ .

(٤) قالوا: إن الإله اتحد مع الإنسان فصار شيئاً واحداً: اتحاد الكلمة بجسد المسيح، ولا يسمون الكلمة التي هي العلم عندهم ابناً إلا بعد تدرعها بالمسيح، فالمسيح عندهم مع ما تدرع به: ابن... انظر: الفصل لابن حزم، ١١٧/١، والداعي إلى الإسلام، ص٣٦٥، والملل للشهرستاني، ٢٢٢/١، ودقائق التفسير، ٣٤٦/٢ .

فإن قلتم كان موجوداً، لزمكم القول بأن ابن اللَّه القديم – في زعمكم – مات وصُلِبَ، لأن جواز القتل كجواز الموت والحركة والسكون والافتراق، وفيه جواز موت الأب والروح، وهذا لا يقولون به.

فإن قالوا: إن الاتحاد بَطل، قيل لهم: فيجب ألا يكون المقتول مسيحاً؛ لأن الجسد عند انتقاضِ الاتحاد ليس بمسيح، فبطل قولكم بأن المسيح قُتِلَ وصلب.

(ب) أنتم تزعمون أن المسيح قُتِلَ وصُلِب، والمسيح في عقيدتكم كان لاهوتاً وناسوتاً، فيلزم من ذلك إطلاق القول بقتل إلهكم، لأن المسيح عندكم إله مُطلق، ومن ضرورة ذلك إطلاق القول بقتل الإله وموته، وذلك مروق عن الدين[1].

فإن قالوا: إنما قُتل الناسوتُ دن اللاهوت. قيل لهم: هذا باطل من وجهين:

١ - أن ناسوته لم يصلب وليس فيه لاهوتاً.

٢ - ذكركم ذلك دعوى مُجردة، فيكفي في مقابلتها المنع[2].

(ج) إذا كان عيسى ابن اللَّه – تعالى – قديم الروح بزعمكم فكيف قدر اليهود على أن يقتلوا ابن اللَّه، وهو إله عندكم، والإله لا يُقتل!!

---

(١) انظر: الداعي إلى الإسلام، ص٣٧٨ .

(٢) انظر: الجواب الصحيح، ٢٩٧/٢، ودقائق التفسير، ٣٣٦/٢، وإغاثة اللهفان، ٢٩٠/٢.

فإن قالوا: إنما قُتِلَ الهيكل دون الروح، قيل لهم: قد بطل الاتحاد الذي ادعيتموه، فكان يجب أن يمنع الروح واللاهوت عن القتل وإتلاف الهيكل والناسوت، فدل ذلك على أنه كان عبداً لله ورسولاً له، لا ابناً له[1].

٢ - أخبار القتل والصلب مصدرها اليهود:

من المعلوم يقيناً أن أخبار المسيح والصلب والقتل إنما تلقاها النصارى عن اليهود، وقد ثبت أنه لم يحضر أحد منهم، وإنما قال اليهود: قتلناه وصلبناه، وهم أعظم أعدائه الذين رموه وأمه بالعظائم، وأجمعت اليهود على أن عيسى ﷺ لم يدَّع شيئاً من الإلهية التي نسبها إليه النصارى، فحينئذ يقال للنصارى: إن صدقتم اليهود في القتل والصلب فصدقوهم في أنه ليس بإله، بل هو عبد مخلوق![2].

ومن العجيب أن النصارى يُعظِّمون الصليب، وكان من مقتضى العقول أن يحرِّقوا كل صليب وجدوه، لأنه قد صُلِبَ عليه إلههم ومعبودهم بزعمهم.. فبأي وجه بعد هذا يستحق الصليب التعظيم[3].

---

(١) انظر: الداعي إلى الإسلام للأنباري، ص٣٧٨، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٢٧٩-٢٩٤.

(٢) انظر: هداية الحيارى، ص٦٣٧-٦٣٩، والجواب الصحيح، ٢/٢٨٣ .

(٣) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم، ٢/٨٥، وهداية الحيارى، ص٤٩٥، والفصل لابن حزم، ١/١٢٣-١٢٨ .

٣ - تناقض الأناجيل في قضية الصلب:

وقع في قضية الصلب في الأناجيل المعتمدة عند النصارى أكثر من ثلاثين تناقضاً، وحينئذ يطبق على هذه التناقضات قاعدة: كل ما تسرب إليه الاحتمال سقط به الاستدلال[١].

وهذا يدلُّ على أن كل ما تعلق بالصلب اشتبه أمره على النصارى، وغابت عنهم الحقيقة، فهم لا يزالون مختلفين، وبهذا يسقط قولهم؛ لأنهم لا علم لهم ولا دليل يعتمدون عليه[٢].

٤ - إبطال القرآن الكريم لقضية الصلب والقتل:

أوضح اللَّه في القرآن الكريم أمر الصلب وبيّنه وجلاّهُ وأظهره، وأوضحه عنه رسوله ﷺ المؤيد بالمعجزات والبينات والدلائل الواضحات، فقال تعالى: ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا، وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**﴾[٣].

فعيسى ﷺ لم يُصلب، بل رفعه اللَّه إليه، ولم يمت، قال تعالى:

---

(١) انظر أمثلة هذه التناقضات مع إحالتها إلى الأناجيل في: المناظرة بين الإسلام والنصرانية ص٦٢-١٠٨، والإنجيل دراسة وتحليل للدكتور/ محمد شلبي، ص٩٤-١٢١.

(٢) انظر: المناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص١٠٤.

(٣) سورة النساء، الآيات: ١٥٥ – ١٥٩ .

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[1]، وقال تعالى حكاية عن المسيح: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[2].

والوفاة هنا بمعنى القبض، كما يقال: توفيت من فلان ما لي عليه، بمعنى: قبضته واستوفيته، فيكون معنى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي: إني قابضك من الأرض ورافعك إليَّ[3].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ يعم اليهود والنصارى، فدلَّ ذلك على أن جميع أهل الكتاب يؤمنون بالمسيح قبل موته، وذلك إذا نزل في آخر الزمان[4] آمنت اليهود

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٥ .

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٧ .

(٣) ورجح هذا القول الطبري في تفسيره، ٢٠٣/٣ .

وهناك أقوال أخرى في معنى الوفاة هنا، فمنهم من قال: النوم، وهم الأكثر، كما قاله ابن كثير، ٣٦٧/١، ومنهم من قال في الآية تقديم وتأخير، وتقديره: إني رافعك إليَّ ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد ذلك.

انظر: تفسير الطبري، ٢٠٢/٣-٢٠٤، والبغوي، ٣٠٨/١، وزاد المسير، ٣٩٦/١، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٨٥/٢، وتفسير ابن كثير، ٣٦٧/١، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٣٤٢/١.

(٤) انظر خبر نزول عيسى آخر الزمان وحكمه بالشريعة الإسلامية في البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم، ٤٩٠/٦، (رقم ٣٤٤٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ، ١٣٥/١، (رقم ١٥٥).

والنصارى بأنه رسول اللَّه، ليس كاذباً كما يقول اليهود، ولا هو اللَّه كما يقول النصارى[1]، ثم بعد أن يحكم بشريعة محمد ﷺ يموت كما يموت البشر قبل يوم القيامة.

فاتضح بذلك – بحمد اللَّه – أن عيسى لم يُقتل، ولم يُصلب، ولم يَمت حتى الآن، فبطل قول النصارى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ واللَّه المستعان.

المسلك الرابع: البينات الواضحات على وقوع النسخ والتحريف في الأناجيل:

من حكمة القول في دعوة النصارى إلى اللَّه – تعالى – أن يبيّن لهم بالأدلة العقلية والنقلية أن دين الإسلام قد نسخ جميع الشرائع السابقة، وأن ما وجد من الكتب السابقة فهو بين أمرين: إما حق قد نسخته الشريعة الإسلامية، وإما كلام محرف أو خلط فيه الحق بالباطل[2].

ومن المعلوم أن النصارى يقسمون الكتاب إلى قسمين:

١ - كتب العهد القديم[3].

---

(١) انظر: فتح الباري، ٦/٤٩١، ٤٩٢، ٤/٤١٤، ٥/١٢١، وشرح النووي، ٢/١٩٠ .

(٢) أما إثبات نسخ الشريعة الإسلامية لجميع الشرائع السابقة، فقد قدمت عليه الأدلة العقلية والنقلية في المطلب الأول من حكمة القول مع اليهود، فأغنى ذلك عن إعادته هنا.

(٣) كتب العهد القديم هي ما يدعي النصارى أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى، وأشهر هذه الكتب خمسة: ١- سفر التكوين. ٢- سفر الخروج. ٣- سفر الأخبار. ٤- سفر العدد. ٥- سفر الاستثناء.

=

٢ - كتب العهد الجديد[١].

أما كتب العهد القديم فقد تقدم إثبات وقوع التحريف فيها بالأدلة العقلية والنقلية[٢].

وأما كتب العهد الجديد فلا شك أن القول بالتحريف في كتب العهد الجديد عند النصارى أيسر عليهم من القول بالتحريف في العهد القديم؛ لأنهم لا يدعون أن الأناجيل منزلة من عند الله – تعالى – على المسيح، ولا أن المسيح ﷺ أتاهم بها، بل كلهم مُجمعون على أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال في أزمان مختلفة[٣]، ولهذا قال ابن تيمية – رحمه الله تعالى -: «الإنجيل بمنزلة ما ينقل من أقوال الأنبياء وسيرهم، ويقع في ذلك الصح والخطأ»[٤].

ولسعة هذا الموضوع سأقتصر على ما يثبت وقوع التحريف في الأناجيل بالأمثلة الآتية:

=

ومجموع هذه الكتب يسمى بالتوراة. انظر إظهار الحق، لرحمة الله الهندي، ١/٩٥-٩٨، واليهودية والمسيحية، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص٩٩-١٨٣.

(١) كتب العهد الجديد هي ما يدعي النصارى أنها كتبت بالإلهام بعد عيسى ﷺ، وأشهرها الأناجيل الأربعة: ١- إنجيل متى. ٢- إنجيل مرقس. ٣- إنجيل لوقا. ٤- إنجيل يوحنا. انظر: إظهار الحق، ١/٩٥-٩٨، واليهود والمسيحية، ص٣١٣-٣٥٢.

(٢) انظر حكمة القول مع اليهود: المسلك الثاني من المطلب الأول.

(٣) انظر: الفصل لابن حزم، ٢/١٣، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/١٩، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص٤٧.

(٤) انظر: الجواب الصحيح، ٢/١٩ .

١ - **النتيجة التي لا مفرّ من التسليم بها أن الأناجيل القانونية الموجودة الآن ما هي إلا كتب مؤلفة**، وهي تبعاً لذلك معرّضة للخطأ والصواب، ولا يمكن الادعاء ولو لحظة أنها كتبت بإلهام؛ فلقد كتبها أناس مجهولون، في أماكن غير معلومة، وفي تواريخ غير مؤكدة، والشيء المؤكد أن هذه الأناجيل مختلفة غير متآلفة، بل إنها متناقضة مع نفسها، ومع حقائق العالم الخارجي، لأنها فشلت في تنبؤات كثيرة، كالقول بنهاية العالم، وهذا القول قد يضايق النصراني العادي، بل قد يصدمه؛ ولكن بالنسبة للعالم النصراني فقد أصبح ذلك عنده حقيقة مسلم بها[١]، لِمَا أجراه من أبحاث، ولِمَا علمه من واقع الأناجيل.

٢ - **الشواهد على التحريف من الأناجيل:**

(أ) جاء في إنجيل مرقس: أن المسيح قال لتلاميذه: «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدن، وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي، ويتكلمون بألسنة جديدة، يحملون حيّات، وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرؤون»[٢].

---

(١) انظر: المناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص٣٥-٥٠، فهناك تجد كثيراً من الأمثلة على هذه التناقضات.

(٢) انظر: الفصل لابن حزم، ١٣٩/٢، وعزاه المحقق إلى إنجيل مرقس، الإصحاح ١٥/١٦-١٨.

ففي هذا النص حجة على النصارى من وجهين:

الوجه الأول: قولهم عن عيسى: إنه أمرهم أن يبشروا بالإنجيل، فدل ذلك على أن إنجيلاً أتاهم به وليس هو عندهم الآن، وإنما عندهم أربعة أناجيل متغايرة، وليس منها إنجيل أُلِّف إلا بعد رفع عيسى ﷺ بأعوام كثيرة، فصحّ أن ذلك الإنجيل الذي أخبر المسيح أنه أتاهم به وأمرهم بالتبشير به ذهب عنهم؛ لأنهم لا يعرفون له أصلاً، وهذا ما لا يمكن سواه.

الوجه الثاني: قولهم: إنه وعد كل من آمن بدعوة التلاميذ أنهم يتكلمون بلغات لا يعرفونها، وينفون الجن عن المجانين، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرءون، ويحملون الحيّات، وإن شربُوا شربة قتَّالة لا تضرهم، وهذا وعد ظاهر الكذب؛ فإن ما من النصارى أحد يتكلم بلغة لم يتعلمها، ولا منهم أحد ينفي جنيّاً، ولا من يحمل حية فلا تضره، ولا من يضع يده على مريض فيُشفى، ولا منهم أحد يُسقى السم فلا يضره، وهم معترفون بأن يوحنا – صاحب الإنجيل – قتل بالسم وحاشا لله أن يأتي نبي بمواعيد كاذبة، وهذا دليل على تحريف النصارى وتناقضهم وتكذيبهم أنفسهم»[1].

(ب) ومن ذلك ما جاء في إنجيل متّى أن عيسى ﷺ دعا على شجرة تين خضراء، فيبست التينة في الحال، فتعجب التلاميذ من

---

(١) انظر: الفصل لابن حزم، ١٣٩/٢.

ذلك، فقال لهم عيسى: «الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان، ولا تشكُّوا أمر التينة فقط، بل إن قلتم أيضاً لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر فيكون»[1].

وهذا فيه حجّة على النصارى، وذلك أن الأمر لا يخلو من أن يكون النصارى مؤمنين بالمسيح ﷺ، أو غير مؤمنين، فإن كانوا مؤمنين، فقد كذبوا المسيح فيما نسبوه إليه في هذه المقالة – وحاشا له من الكذب – فليس منهم أحد قدر على أن يأمر حبة من خردل بالانتقال فتنتقل، فكيف على قلع جبل وإلقائه في البحر!

وإن كانوا غير مؤمنين به فهم بإقرارهم هذا كفار، ولا يجوز أن يصدق كافر[2].

وبهذا يتبين أن الأناجيل وقع فيها تحريفٌ عظيم، ولا يعتمد عليها، ولا مخرج من هذا التيه إلا بالدخول في الإسلام.

المسلك الخامس: إثبات اعتراف المنصفين من علماء النصارى:

من حكمة القول مع النصارى في دعوتهم إلى اللَّه الاستشهاد عليهم بشهادة المنصفين من علماء النصارى، ومن وفقه اللَّه منهم

---

(١) انظر: الفصل لابن حزم، ١٣٩/٢، وعزاه المحقق إلى إنجيل متى، الإصحاح، ١٨/٢١-٢٢.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الإمام الحافظ، ولد سنة ٣٨٤هـ، وتوفي سنة ٤٥٦هـ، ٩٨/٢.

وانظر: الفصل لابن حزم، ١٤/٢-٢٠٠، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص٣٢-٤٥٢.

للإسلام، فإن هذا من باب ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾[1]، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

١ - النجاشي ملك الحبشة رضي الله عنهما:

عندما قرأ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه على النجاشي[2] صدراً من سورة مريم، بكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكى أساقفته حين سمعوا ما تُلي عليهم، وقال النجاشي للوفد: ما يقول صاحبكم في ابن مريم؟ فقال جعفر رضي الله عنه: يقول فيه قول اللَّه: هو روح اللَّه وكلمته، أخرجه من البتول العذراء التي لم يقربها بشر... فتناول النجاشي عوداً فرفعه، فقال: يا معشر القسيسين والرهبان، ما يزيد على ما تقولون في ابن مريم ما تزن هذه، وقال للوفد: مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسول اللَّه، وأنه الذي بشَّر به عيسى، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعله...[3].

٢ - سلمان الفارسي رضي الله عنه وأرضاه:

قصة سلمان مشهورة عجيبة[4]، فقد عاش مع مجموعة من

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٢٦.

(٢) أصحمة ملك الحبشة، أسلم وحسن إسلامه، وهو معدود في الصحابة، ولم يُهاجر، ولا له رؤية، فهو تابعي من وجه، صحابي من وجه، توفي في حياة النبي ﷺ فصلى عليه بالناس صلاة الغائب، ولم يثبت أنه صلى على غائب سواه. انظر: سير أعلام النبلاء، ١/٤٢٨-٤٤٣.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، ١/٤٣٨ .

(٤) انظر: قصته وإسلامه رضي الله عنه في سير أعلام النبلاء، ١/٥٠٥-٥٥٦.

علماء النصارى، وعندما كان مع آخر عالم من هؤلاء بعمورية بالروم حضرته الوفاةُ، فأوصى سلمان الفارسي وقال: «قد أظلَّكَ زمان نبي يُبعثُ من الحرم، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل، وإن فيه علامات لا تخفى: بين كتفيه خاتم النبوة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل، فإنه قد أظلك زمانه».

وسافر سلمان ووجد العلامات التي وصفت له، فأسلم رضي الله عنه[1].

٣ - هرقل عظيم الروم:

قال هرقل لأبي سفيان في آخر حديثه: «... وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بم يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فإن كان ما تقول حقّاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه...»[2].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٥٠٩/١، ٥١٠ .

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، ٣٢/١، (رقم ٧)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ١٣٩٦/٣، (رقم ١٧٧٣).

ثم قال للروم بعد ذلك: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت مُلككم فتبايعوا هذا النبي؟[1] ولكن رغب في ملكه وضنَّ به، فلم يسلم!

وهذا مما يبيّن أن عدول أهل الكتاب ومنصفيهم قد شهدوا لرسول الله ﷺ وأنه رسول الله حقّاً، فلا يقدح قدح المكذبين بعد ذلك[2].

وقد أسلم الجمُّ الغفير من علماء النصارى وشهدوا بأن محمداً ﷺ رسولُ الله إلى الناس أجمعين، ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ**﴾[3].

فحريٌّ بجميع النصارى أن يسيروا على طريق علمائهم المنصفين، ويسلموا لله رب العالمين.

فينبغي للداعية إلى الله أن لا يُغفل هذا المسلك في دعوته للنصارى إلى الله تعالى[4].

---

(١) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، ١/٣٣، (رقم ٧).

(٢) انظر: هداية الحيارى لابن القيم، ص٥٢٥ .

(٣) سورة المائدة، الآية: ٨٢ .

(٤) ممن سلك هذا المسلك من العلماء المعاصرين: فضيلة الشيخ/ عبد المجيد الزنداني – وفقه الله وحفظه –، فهو يستشهد على النصارى بشهادة علمائهم، فأسلم على يديه الجم الغفير – فجزاه الله خيراً –.

obeikandl.com